واقع تدريس اللغة العربية
في مدارسنا وسبل تطويره

د. عبد القادر فضيل (الجزائر)

مقدمة :

إن هذه الكلمة ليست بحثا في اللسانيات، أو في علم اللغة، إنما هي تناول لرؤية بيداغوجية تربوية تستهدف عرض الأفكار التي تشكل أهم الجوانب التي يطرحها علم تعليم اللغة في المراحل الدنيا.

فالموضوع الذي نطرحه اليوم ونناقش قضاياه المختلفة هو واقع تدريس اللغة العربية في التعليم الأساسي وسبل تطويره، أي ما هي حقيقة ما يجري في مجال تعليم اللغة العربية وما هو الإجراء المنهجي الذي يجب أن يوجه جهودنا السياسية نحو تبني منهجية تعليمية جديدة وجادة تعزز الجوانب الإيجابية في تعليم اللغة، تخطيطا وتنفيذا، وتعالج الاختلالات التي ما تزال لصيقة بهذا التعليم ،والتي نتجت عن الأوضاع الانتقالية التي فرضتها السياسة الوطنية الهادفة إلى إحياء مجد اللغة العربية واسترجاع مكانتها من جهة وتأهيلها لمسايرة الحياة المتطورة، من جهة ثانية.

إن معالجة هذه الاختلالات تستدعي طرح القضية اللغوية طرحا شاملا ينسجم مع حقائق المرحلة الحضارية التي تجتازها أمتنا، ويستجيب لتطلعات الأجيال، وانتظارات المجتمع في هذا الصدد.

وتحاول هذه الكلمة أن تتناول الموضوع من زوايا مختلفة :

- الإطار النظري المحدد لتعليم اللغة .
- الممارسات العملية الجارية في المدرسة.
- نوعية النتائج المحققة .
- الإشكالات القائمة .

كما تحاول أن تطرح التصور المستقبلي والحلول التربوية والسياسية المؤهلة لتجاوز إشكالات الواقع ، على أن يشمل التصور:

- النظرة إلى اللغة العربية والوظيفة التي يجب أن تسند إليها
- الأهداف المتوخاة من تعليمها في المرحلة الدنيا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– الحقائق المتصلة بأساليب تعليم اللغة في هذه المرحلة .
– الأسس والمنطلقات الفكرية التي يجب اعتمادها في التخطيط لتعليم اللغة، وبناء المنهجية، وتأليف المنهاج والكتب وضبط الوسائل .
– استراتيجية تعليم وتعلم المهارات اللغوية في السنوات الأولى.
– المساعي التي يجب أن تبذل لإصلاح الأوضاع المحيطة بتعليم اللغة العربية داخل المدرسة وخارجها .

إن مختلف هذه القضايا التي نحرص على إثارتها هي قضايا تربوية حاسمة تشكل في أساسها مداخل علمية لعملية التطوير الذي ننشده

وبما أن الواقع الذي نتحدث عنه يتجسد في مظهرين :

– مظهر نظري : وهو ما نجده ماثلا أو متضمنا في الإطار المنهجي الذي حددته أدبيات التعليم الأساسي، وسطرته التوجيهات التربوية . مظهر عملي : وهو الأساليب التعليمية الجارية في الميدان، والتي ينفذ بمقتضاها البرنامج المخصص لتعليم مهارات اللغة .

وبالرجوع إلي الواقع العملي نلمس التفاوت الواضح بين الطرح النظري كما رسمته التوجيهات التربوية، ووثائق التعليم الأساسي، وبين الأساليب العملية التي ترتبط بعمل المربين المنفذين .

وهذا وجه من أوجه الإشكال المطروح في مجال تعليم اللغة عندنا، والذي جعل النتائج ليست في المستوى المأمول، لذلك يجوز القول لمن يريد أن يصدر حكما إن الجهود التي ظلت تبذل في مجال تعليم اللغة العربيد والارتقاء بمستوى تعليمها ما تزال جهودا لم تبلغ غايتها رغم المحاولات التجديدية التي عرفها نظام التعليم الأساسي، والجهود الإصلاحية التي عرفهاالتعليم في السنوات الأخيرة، وهذا ما يدعو إلى المزيد من البحث عن جذور الإشكال، وسبل علاجه، ولا تهمنا هنا المقارنة بين المنهاج التخطيطي، والمنهاج التنفيذي، لأن التعرض إلى ذلك يخرجنا عن النطاق المحدد لهذه الكلمة، ويبعدنا عن الهدف المرسوم لهذا الطرح، وهو البحث عن أنجع الأساليب والوسائل التي من شأنها أن تعطي لتعليم اللغة العربية نفسا جديدا، تحقق به المدرسة الأهداف المنتظرة منها، في مجال إتقان المهارات اللغوية، وتكوين شخصيات المتعلمين، والنهوض باللغة، ويجني المجتمع من جراء ذلك ما يتطلع إليه من إزدهار فكري وتطور حضاري، لأن العناية باللغة هي عناية بالفكر، لذلك تحرص الأمم على ترقية لغتها والإعلاء من شأنها وغرس الاعتزاز بها، والاهتمام بتطوير أساليب تعلمها باستمرار، لأنها عقل الأمة ورمز وجودها، ومفتاح تطلعاتها العملية.

قلت :لا تهمنا المقارنة بين الواقع النظري والواقع العملي ، وإنما الذي يهمنا هو الإشارة إلى بعض الأمور التي تفتح أعيننا على أصول الإشكالات القائمة في مجال تعليم اللغة العربية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الأول: إن المدرسة بأوضاعها الحالية (ظروفها وإمكاناتها) لم تعد قادرة على التأثير في المحيط، والاستجابة للتغيرات التي تحدث داخل المحيط وخارجه ومن ثم لم تستطع أن تحقق ما كان منتظرا منها، لأنها لم تمكن مما يعينها على السير المنتظم، ويجعلها تشق الطريق الذي يوصلها إلى غايتها .

الأمر الثاني: إن مسؤولية تدني المستوى اللغوي الذي أصبح حديث العام والخاص ليست مسؤولية المدرسة وحدها، وهذا ما يدفعنا إلى القول : إن ترقية الاستعمال اللغوي الصحيح في بلادنا ليست مشكلة مدرسية، بقدر ما هي مشكلة مجتمعية، فطرحها يجب أن يكون من هذه الزاوية، وبهذه النظرة ، فالمدرسة وحدها لا تستطيع النهوض بهذا العبء الكبير إذا لم يدعمها المجتمع بأسره (أجهزته، مؤسساته ، أنظمته ، قراراته إلخ) .

الأمر الثالث: إن نظرتنا إلى اللغة العربية ما تزال نظرة متأثرة بما كانت عليه في عهود الركود، فالاهتمام كثيرا ما ينصب على الشكل بعيدا عن المضمون، وعلى الحفظ بعيدا عن التوظيف، وعلى الفصحى التراثية على حساب الفصحى المعاصرة، وعلى المعرفة من أجل المعرفة.

الأمر الرابع: إن الموقف الرسمي من التعامل مع العربية هو أكبر العوامل التي قللت من فاعلية الجهد التعليمي من قبل المعلم والمتعلم، فالواقع العملي الذي تعيشه اللغة ويعيشه المتعلم بها لا يساير الخطاب الرسمي الشارح لمكانة اللغة وأهميتها في حياتنا ،ولعل هذه الأمور وغيرها هي التي دفعت المجلس الأعلى للغة العربية إلى تحفيز همم الكتاب لمعالجة القضايا المتعلقة براهن اللغة العربية في أوطاننا والتحديات التي تواجهها.

وهي التي دفعتني إلى تناول المسائل المتعلقة بتعليم اللغة في نظامنا التعليمي تلك المسائل التي ظلت هاجسا يحرك فكري وشعوري منذ أن أسندت إلى مهمة الإشراف على تأليف كتب تعليم اللغة العربية وتوجيه العاملين في هذا الحقل في السابق.

إن المتأمل في واقع الطرائق التي يعالج بها موضوع تعليم اللغة يجدها بحاجة إلي مراجعة جذرية تستلزم طرح القضية اللغوية طرحا شاملا يمس التعليم والمجالات المتصلة بالتعليم،بهدف البحث عن حل لجوانب المشكلة اللغوية التي امتد أثرها خارج المدرسة.

والسؤال الذي يثار هنا: ماهي الاستراتيجية التي ينبغي طرحها ومناقشتها؟ لتتبين المنطلقات والأسس التي يجب أن تراعي في تحديد نظرتنا إلى اللغة، وفي تحديد الطرح العلمي البيداغوجي الذي يجب الأخذ به في مجال تنظيم تعليم اللغة العربية، في المراحل الدنيا بالخصوص، سواء في مجال تحديد الأهداف وبناء المناهج واقتراح الطرائق والوسائل، أم في مجال تحديد سياسة إعداد المعلم وإطارات الإشراف وتهيئة البيئة التربوية التي تجري فيها أحداث التعليم وتمارس عمليات التعلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا : النظرة إلى اللغة :

يجب أن لا نحصر نظرتنا إلى اللغة العربية في الجوانب الأدائية اتي تمثل فقط الوظائف التقليدية للغة وهي وظائف التواصل والتبليغ ونهمل الجوانب الأخرى التي لا تقل أهمية عن الجوانب الأدائية، بل إن هذه الجوانب (الوظائف التقليدية) ليست قيمتها في ذاتها، إنما قيمتها فيما تحققه من غايات فكرية وتربوية .

لأن اللغة ليست وسيلة تراثية تقصد لذاتها، أو غاية معرفية تحصل الاستفادة منها بمجرد إكتسابها، إن اللغة شيء آخر : بناء فكري ومضمون ثقافي، غايته التأثير والتغيير والبناء، فهي وسيلة وغاية، آداة ومضمون والتعليم الناجح هو الذي يدرك هذه العلاقة الجدلية بين اللغة باعتبارها وسيلة، واللغة باعتبارها غاية، وهذا ما يجب أن تتضمنه نظرتنا الجديدة إلى اللغة الوطنية، فالوظيفة الحضارية للغة هي البناء الفكري والنفسي للفرد والمجتمع (هذه غاية المدرسة) لأنها بهذا البناء الذي يتجه من الفكر إلى الفكر ومن ذات الإنسان إلى ذات الإنسان ومن الحاضر إلى المستقبل تحدد ملامح النموذج البشري الذي نريده، ومعالم الشخصية التي نتطلع إليها .

وإن أهم ما ينبغي أن تتضمنه هذه النظرة الجديدة هي :

السير بتعليم اللغة العربية وفق إستراتيجية بيداغوجية وعلمية يكون هدفها الأساسي هو جعل تعليم المهارات اللغوية المختلفة وسائل ومداخل لتحقيق جوانب تربوية وحضارية تشكل الغايات الكبرى التي يستهدفها تعليم اللغة الوطنية وفي مقدمة هذه الغايات :

أ – جعل اللغة العربية الأداة التي تبني الفكر وتربي الوجدان وتهذب الذوق .

ب – غرس الإتجاهات الإيجابية في سلوك المتعلمين تجاه وطنهم وقيم مجتمعهم .

ج – تعميق الشعور بذاتية الأمة من خلال معرفة أمجادها وتراثها وإسهاماتها النضالية والعلمية في مجال المحافظة على هذه الذاتية.

د– إشاعة الاستعمال اللغوي السليم والراقي الذي يجمع بين الفصحى التراثية والفصحى المعاصرة، ويساير مستجدات العصر، ولا يتم هذا إلا إذا حرص التعليم والمحيط الثقافي على جعل المتعلمين يتذوقون اللغة،ويعتزون بها، ويحسون بأهمية الحفاظ على سلامتها.

وحتى هذه الغايات التي نتطلع إليها لم تعد كافية، نظرا لتفجر مجالات المعرفة، وحدوث ثورة عارمة في وسائل الاتصال الحديثة،لأننا نريد من اللغة التي ننتمي إليها أن تصبح، بالإضافة إلى ما ذكر أداة كاملة المؤهلات لا ستيعاب التطورات الحديثة التي تحدث حولنا، وتؤثر في حياتنا، ليستطيع المتعلمون بها أن يتفاعلوا إيجابيا مع متغيرات الحياة، ولا يتحقق هذا إلا إذا كنا حريصين على تمكينها (اللغة) من ممارسة دورها الحضاري في حياة المجتمع بجعلها تضطلع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بكل الوظائف الحية التي تضطلع بها اللغات في أوطانها، هذا هو الطرح الذي يجب أن يحكم نظرتنا إلى اللغة مفهوما وأداء، علما وتعليما.

ولكي نطور تعليم اللغة ونجعله تعليما منتجا وظيفيا يفي بكل الوظائف التي تناط باللغة يجب أن نفرق بين اللغة بصفتها معرفة واللغة بصفتها مهارة، لكن التعليم حتى وإن إنطلق من الصفة المعرفية يجب أن يسعى إلى تحقيق الصفة المهارية، فاللغة مهارة في الأساس، وتتفرع إلى مهارات فرعية وليست مجموعة مواد معرفية قائمة بذاتها .

والذي نعطيه الأولوية في مجال تعليم الصغار أو المبتدئين هو المهارات التي تجعل الفعل اللساني ملكة مقررة في العضو الفاعل لها كما يقول ابن خلدون: لا يتحقق هذا إلا إذا ركز الجهد التعليمي على جعل المتعلم يعي مكونات النظام اللغوي ويحسن توظيفها في مجالات الاستعمال

الأخطاء التي يجب تلافيها :

من خلال تحليل واقع الدروس اللغوية التي تنجز في مدارسنا نلمس عددا من الأخطاء التي ترجع في الأصل إلى النظرة التي بنينا عليها أسلوب تعليم اللغة .

من هذه الأخطاء :

1– أننا كثيرا ما نحصر جهودنا الموجهة لتعليم اللغة الوطنية في الجوانب الأدائية (الكلام والقراءة) ونهمل الجوانب الأخرى المتعلقة بتكوين الفكر وبناء الوجدان وتهذيب الذوق . . إلخ

2– كثيرا ما يتصور المعلمون أن اللغة علم يقصد لذاته ، فكأن معرفة الحقائق والأحكام اللغوية هي الغاية الوحيدة من تعلم اللغة .

3– يعتقد الكثيرون أن امتلاك المهارة اللغوية (التي هي هدف تعليم اللغة) تكفي فيها المعرفة وحدها، ومن ثم يقللون من أهمية الممارسة والتدريب في حين أنهما الأساس في عملية الاكتساب اللغوي.

4 – أننا ننظر إلى المهارات اللغوية (الاستماع، التعبير، القراءة، الكتابة، التذوق الأدبي، القواعد) على أنها فروع وأنشطة قائمة بذاتها، وتحمل غايتها في نفسها .

– إن تصحيح هذه الأخطاء متوقف على تغيير نظرتنا إلى الوظيفة التعليمية للغة، وإلى المنهجية التي بها نحقق هذه الوظيفة، من ذلك:

– أن تعاملنا مع تعليم اللغة يجب أن يكون على أساس أن اللغة نظام مؤلف من أنظمة فرعية ويتطلب ذلك معرفة الحقائق المتصلة بهذا النظام التي لا بد منها لمعرفة مكونات النظام اللغوي وفروعه وخصائص اللغة، ولكن ممارسة هذا النظام يجب أن تتم في ضوء هذه الحقيقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التربوية التي أصبحت معروفة، وهي أن اكتساب النظام اللغوي (الملكة) يتم حتما عن طريق اكتساب المهارة، واكتساب المهارة يتم عن طريق الممارسة المتكررة والواعية.

ومن ثم فنقطة الانطلاق في بداية التعلم اللغوي المباشر هي النظرة إلى اللغة على أنها مهارة تكتسب بالتعلم والإستعمال، أي يتضافر عاملان هما : الممارسة والمعرفة ولكن الممارسة هي التي تؤدي إلى المهارة وليست المعرفة، فالاعتقاد بأن المعرفة المتعلقة بالحقائق اللغوية تؤدي إلى اكتساب المهارة من غير ممارسة مركزة وواعية اعتقاد خاطىء، يرفضه المنطق وترفضه التجربة كذلك .

إن تغيير نظرتنا إلى اللغة على هذا الأساس يدفعنا إلى مراجعة الاتجاهات التي يؤسس عليها تعليم اللغة، في جميع المراحل.

فالتركيز على تنمية القدرة على الاتصال والتواصل وإهمال الجوانب الأخرى أمر يجب تصحيحه ، لأنه لا يحقق كل انتظاراتنا من تعليم اللغة الوطنية.

وكذلك اعتبار المعرفة اللغوية غاية في حد ذاتها نظرة يجب تصحيحها كذلك، لأننا لا نعلم اللغة من أجل اللغة، إنما نعلمها لغايات أخرى، نعلمها لأبنْائنا ليتعلموا بها، وليحسوا بوجودهم من خلالها، نعلمها لهم ليفكروا بها، وليستعينوا بها على فهم واقعهم، واكتشاف محيطهم، ومحاورة ماضيهم، وهذا أمر يتجاوز المعرفة من أجل المعرفة.

ومن هنا فالاقتصار على جعل الهدف التعليمي هو إكساب المتعلم معلومات عن اللغة، يجعلنا نكون إنسانا مستشرقا (مستعربا) يعرف شيئا كثيرا أو قليلا عن اللغة العربية، ولكن ليس لديه ارتباط بأهلها، ولا بقيمها الثقافية والحضارية ولا يملك الوعي بأهمية الإنتماء إليها والاعتزاز بها.

ومن الأمور التي يجب الأخذ بها في عملية التصحيح تحاشي النظرة المجزئة لوحدة اللغة، والتي تعامل النشاطات اللغوية المؤدية إلى إكتساب المهارات كما لو كانت فنونا معرفية قائمة بذاتها، وتعليمنا للغة على هذا الأساس مخالف لطبيعة اللغة ووحدتها، وتكامل عناصرها، لذلك ينبغي أن يأخذ التعليم اللغوي منحى جديدا يتجاوز هذه التجزئة، (بحيث يعتمد المقاربة النصية في الدخول إلى تحليل واقع التعامل مع اللغة).

فالمنهج الصحيح الذي يلائم طبيعة اللغة هو أن يتم تعليم مهارتها من خلال مظهر لغوي متكامل، فإذا كنا نجزئ تعليم اللغة منهجيا بحيث نحدد لكل حصة ممارسة نشاط نطلق عليه إسم النشاط اللغوي والمهارة المستهدفة فإن هذه التجزئة يجب أن يحكمها البناء المتكامل للغة، وأن تتم في حضن وحدة اللغة، ويستوجب هذا أن يكون تعليم أية مهارة هو تعليم للغة بحيث نتحاشى اصطناع الحواجز الفاصلة بين كل فرع وآخر، وبين كل مهارة وأخرى، بحيث يعتمد المنهج الذي يجعل النص مجالا تستخلص منه المفاهيم المختلفة والمهارات التي نسعى إلى تمكين المتعلمين منها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : الحقائق المتصلة بتعليم اللغة في المرحلة الأولى من التعليم

طبيعة المرحلة وخصائصها

تعد المرحلة الأولى من التعليم الأساسي (السنوات الثلاث الأولى من التعليم الإبتدائي) أخطر المراحل وأهمها على الإطلاق، لأنها تشكل قاعدة التعليم كله ، والأساس الذي تبنى عليه كل تربية بعد ذلك .

ففيها يبدأ الأطفال رحلتهم الشاقة والممتعة نحو عالم المعرفة، ومن خلال ما يتلقونه فيها يكتسبون أدوات التعلم ووسائل الاتصال، ويستكملون أسباب النمو النفسي والحركي، ويتشربون قيم المجتمع وأخلاقه، ومن ثم يصبحون مهيئين لإقامة علاقة سوية مع أقرانهم ومع الأوساط التي يتصلون بها .

ومن المعلوم أن اللغة تؤدي دورا بالغ الأهمية في هذه التنشئة، إذ عليها يتوقف نجاح التعليم في هذه المرحلة وفي المراحل التي تليها، لأنها محور الأنشطة المدرسية، والكل الذي يحتويها، والمجال الذي تترابط من خلاله كل المعارف والمفاهيم التي تعلم، فاللغة في هذه المرحلة وبهذا الاعتبار هي الوسيلة والغاية، والآداة والمضمون .

إن زيادة تركيز العناية بالمرحلة الأولى من التعليم الأساسي،أو ما أصبح يسمى بالتعليم القاعدي أو الإلزامي (في مجال تعليم اللغة الوطنية وما يتصل بهذا التعليم) هي الخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها نحو تأسيس الانطلاقة الجديدة التي ندعو إليها في مجال تطوير واقع تدريس العربية في التعليم الأساسي (الأولي والإكمالي)، وتحسين الأوضاع المرتبطة بهذا التعليم

ونظرا لكون هذه المرحلة تقع في بداية الهرم التعليمي يجب أن يركزالجهد فيها على وضع الأسس المعرفية والمهارية الثابتة التي تبنى عليها شخصية المتعلم، فالمعلومات التي يتلقاها في هذه المرحلة تشكل الأرضية الصلبة التي تتيح للمربين أن يشيدوا عليها البناء المعرفي والفكري الذي يريدون .

ومن هنا تبرز خطورة التقصير في العناية بهذه المرحلة، وعدم تهيئة الظروف المناسبة لها .

وما يجري في الواقع من مفاضلة بين المرحلة الدنيا والمراحل التي تليها وتمييز معلم المراحل العليا على معلم المرحلة الدنيا في الإعداد والتقدير يعد خطأ تربويا كبيرا، ونتيجة لهذا الخطأ يسند تدريس اللغة العربية (في أخطر مراحل التدريس) إلى من ليس لهم إلمام بخصوصية هذه المرحلة، وبالصعوبات التي تواجه المتعلمين، ظنا من القائمين على التعليم أن العمل في المراحل الدنيا أيسر منه في المراحل العليا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونظرا للصعوبات الموضوعية يجب أن لا يسند العمل في هذه المرحلة إلا لمن كان متحمسا للعمل مع الأطفال الصغار، ومستوعبا خصائص الطفولة، وخصوصيات المجتمع، متمكنا من اللغة (قراءة وكتابة حديثا واستماعا) وملما بعلم تعليم اللغة، وله ثقافة تربوية تسمح له بأن يدرك العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين التعليم والحياة، وتمكنه من فهم الأهداف وتحليلها وتصنيفها وفق كل مهارة .

ولكننا مع الأسف لا نجد إلا القليل من المعلمين الذين تتوافر لديهم هذه المؤهلات، وهذا ما يحتم ضبط خطة تكوينية يتم بموجبها فرض برنامج تكويني على كل معلم يعمل في هذه المرحلة، أو يتهيأ للعمل فيها، على أن تختلف الجرعات الموصوفة لكل فئة، بحسب الرصيد المعرفي الذي يملكه كل واحد[1] .

إن تعليم اللغة لأطفال صغار لم يستكملوا نموهم الفكري والنفسي يحتاج إلى جهد كبير، وصبر طويل، وثقافة تربوية مركزة، وهذا الجهد يقع الجزء الأكبر منه على عاتق المعلم، ولكي يستطيع المعلم الاضطلاع بهذا الجهد والنجاح فيه يجب أن يتصف بصفات ضرورية ثلاث كما يرى (روبير دوترانس)[2]:(عليه آن يحب لغته، وأن يعرفها، وأن يجد لذة في تعلمها) .

فالمرحلة هذه ليست مرحلة للتعليم بقدر ما هي مرحلة لتربية حواس المتعلم وتنمية قدراته وتهذيب ميوله واتجاهاته الفكرية ، ولكوْن اللغة هي المدخل لكل ذلك .

التهيئة اللغوية التي تسبق التعليم المباشر :

ونظرا إلى أن معظم أطفال هذه المرحلة (أكثر من 90 ٪) ينتقلون مباشرة من البيت إلى المدرسة من غير تهيئة أصبح من الضروري التفكير الجدي في تخصيص مرحلة تهيئة تسبق الدخول المدرسي أو تكون في بدايته .

فالطفل منذ أن يبدأ الكلام ويشرع في ممارسة التعابير اللغوية الجارية في محيطه تنشأ لديه عادات لغوية تتحول تدريجيا إلى خبرات تكسبه القدرة على التواصل مع أبناء جنسه ودربه على الحديث، ولكنها خبرات ليست متطابقة مع ما يجده في المدرسة، لذا يتحتم أن تسعى المدرسة لتهيئة الأطفال لممارسة التعلم .

---

(1) إن مشكلة إعداد المعلم وتهيئته للمهام التي تناط به وفق خطة مدروسة ظلت مطروحة منذ بداية الإستقلال، لم تحدد المواصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يرشح نفسه لهذه المهمة، ولم تحدد كذلك المواصفات التي تشكل ملمح المتخرج بعد أن يتلقى برنامجا تكوينيا .

(2) روبير دوترانس (وآخرون) التربية والتعليم (ترجمة هشام نشابة وآخرين) مكتبة لبنان ص 86 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وينبغي في هذا الصدد اتباع منهجية تعليمية تحرص على تحاشي الانتقال المفاجئ بالطفل من الاستعمالات اللغوية العامية (التي كان يحتك بها في محيطه الإجتماعي والتي كانت سنده الوحيد في اكتساب مهارة التحدث إلى الناس والاتصال بهم) إلى اللغة العربية الفصحى التي هي لغة المدرسة ولغة الكتاب والمناسبات الرسمية ووسيلة التعلم، ويتطلب الأمر هنا تخصيص فترة تمهيدية تطول أو تقصر بحسب الإمكانات لتهيئة الطفل نفسيا ولغويا للدخول في عمليات التعلم اللغوي المباشر الذي يفرض نوعا من التهيئة والإعداد لتيسير عملية الفطام التي يتعرض لها الطفل حين انتقاله من البيت إلى المدرسة، وهذه الفترة قد تكون أشهرا أو سنة أو سنتين بحسب مستوى الطفل وإمكانات النظام[1].

فالطفل في الفترة السابقة كان خاضعا لتنشئة لغوية كان للمجتمع الدور الكبير في إعطائها لونا معينا، ولكن الأثر الاجتماعي وحده ليس كافيا ما لم تعززه الاستعدادات الفطرية التي تولد مع الإنسان، فخصوبة التعابير وطلاقة اللسان وسرعة الفهم أمور ليست واحدة لدى الجميع، وهذا دليل على اختلاف الإستعدادات التي يرى أصحاب النظريات المعرفية أنها العامل في اكتساب القدرة على الآداء اللغوي .

وحين يبلغ الطفل سن الدخول المدرسي تكون خبراته التي اكتسبها بعفوية من المحيط عن طريق السماع والكلام تكون قد ارتقت، واصبحت وسيلته المثلى في الاتصال والتفاهم، ولكنه حين ينتقل إلى المدرسة يطلب منه أن يتخلى جزئيا أو كليا عما اكتسبه مدة سنوات، ويبذل جهدا في تعلم المهارات اللغوية المختلفة ، وخاصة مهارتي القراءة والكتابة اللتين لا يعرف عنهما شيئا .

لذلك يتحتم (وفق المنظور التربوي الصحيح) تخصيص مرحلة وسط بين التنشئة اللغوية التي عاشها في المنزل وبين مرحلة التعلم المدرسي المباشر الذي يقتضي منه تجنيد كل حواسه وقدراته العقلية ليستطيع التكيف مع ما يطلب منه.

فصعوبة التعامل مع الكلمة المكتوبة التي تواجه الطفل منذ البداية في عملية القراءة والكتابة منشؤها أن الكتابة مستوى ثان من التجريد، لأن إدراك الكلمة المكتوبة التي هي العنصر الجوهري في القراءة يتطلب بالإضافة إلى معرفة الرموز المتواضع عليها ربط المنطوق بالمكتوب، من حيث الآداء وربطهما بالمعنى من حيث الفهم ، ومن المعلوم أن العلاقة بين اللفظ والمعنى (بين الدال والمدلول) علاقة تحكمية (علاقة مواضعة) ليس للمنطق فيها أي دخل .

لذلك يقال:إن الكلمة المكتوبة هي تجريد التجريد فالكلمة المنطوقة مجردة في الأصل فهي ترمز إلى المعنى الموجود في الذهن، والكلمة المكتوبة مجردة عن الصورة المنطوقة، أي هناك

(1) ولعل هذا الإشكال سيزول مع تعميم التعليم التحضيري الذي تفكر وزارة التربية في جعله قاعدة التعليم الإبتدائي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى تقابله صورة صوتية مجردة تعبر عنه وحين يجسم هذا المعنى في رموز كتابية يصبح تجريدا ثانيا.

وإذا كانت اللغة تستخدم في الحديث الشفهي بصورة كلية دون حاجة إلى الإلمام بجزئياتها، فإن استخدامها في الكتابة يستلزم وعيا جزئيا وقدرة على التركيب والتحليل وربط الرمز بالصوت، ومن ثم كانت الكتابة تجريد التجريد.

وهذا يتفق مع ما ذهب إليه إخوان الصفاء وبعض العلماء الأجانب (فيجوتسكي)[1] الذين يقررون أن الصفة التجريدية للكتابة هي العقبة في تعلم اللغة المكتوبة ونموها، والقصد هنا ليس كتابة الرموز وتجميع الأصوات إنما القصد هو تعليم النظام اللغوي المكتوب شكلا ومضمونا، أي ما يتبع في تعليم القراءة والكتابة باعتبارهما وجهين لعملة واحدة.

إن هذه الأمور التي أشرت إليها تستلزم مستوى من الإستعدادا الذي يمكن الطفل المقبل على التعلم المباشر من النجاح في التعلم اللغوي.

وتخصيص فترة تمهيدية كافية لتهيئة الأطفال قبل الدخول في عملية التعلم المباشر هو الحل الأنسب لحل الإشكال المتعلق بتنمية الإستعداد، وقد يكون الاقتراح الأمثل هو تعميم مرحلة تحضيرية لمدة سنة أو أكثر، وإعادة النظر في برامج التعليم التحضيري المنظم في بعض المؤسسات، أو تستثمر المدرسة القرآنية بعد أن تطور برامجها، وقد يستعاض عنها مؤقتا عند التعذر بفترة تهيئة تدوم ثلاثة أشهر على الأقل يتلقى فيها كل الأطفال برنامجا تحضيريا مضبوطا ومعززا بوسائل مدروسة (أي تطوير البرنامج الحالي).

ثالثا: الأسس والمنطلقات التي يقوم عليها تعليم اللغة في هذه المرحلة:

1 – استثمار المكتسبات اللغوية السابقة:

من أهم الأسس التي ينبغي إعتمادها في تعليم اللغة لأطفال المرحلة الأولى عدم الانتقاص من قيمة خبرتهم اللغوية التي اكتسبوها قبل الدخول المدرسي، وهذا يستوجب أن ينطلق التعليم اللغوي من هذه الخبرة التي هي خبرة لا يستهان بها.

وبما أن عناصرها لا تبتعد كلية عن العربية الفصحى التي يطلب من التلميذ أن يتعلمها كان من الضروري أن يتجه الإهتمام إلى جعل هذه الخبرة نقطة إنطلاق في مجال تعليم اللغة الفصيحة التي هي أصل للغة التي جاء بها من البيت.

---

(1) أنظر مجلة التربية (قطر) العدد 104 السنة 22 / 1993 مقولات الاكتساب اللغوي (علي إبراهيم علي).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحتم هذا المبدأ إستثمار المكتسبات السابقة واعتمادها منطلقا في تعلم المهارات اللغوية، حتى نجنب الأطفال الانتقال المفاجيء من العامية التي درجوا عليها إلى اللغة الفصحى التي تواجههم منذ اليوم الأول، ويعني هذا أن يقع الاعتماد في البداية على الألفاظ التي لم تبتعد كثيرا عن بنية اللغة الفصيحة، ولم يدخلها التحريف المشوه للبنية، وهذه الألفاظ كثيرة مثل الألفاظ الدالة على الخروج والدخول والقعود والقيام

والأكل والجوع والعطش والشبع والفرح والغضب وغيرها من الألفاظ والصيغ الدالة على التأنيث والتذكير والنفي والإثبات والإفراد والجمع . .إلخ .

فهل يجوز الاستهانة برصيد لغوي قضى الطفل في جمعة ست سنوات؟ وهل يجوز لواضعي المناهج والمعلمين أن يتجاهلوا هذا المكتسبات ويحاولوا أن يهدموها ليبنوا على أنقاضها بناءا لغويا جديدا؟

فالمطلوب إذن هو مراعاة هذه الخبرات والإنطلاق منها بإعادة تنظيمها، إذا كانت في حاجة إلى ذلك، وتصحيحها وإثرائها كل ما ظهرت حاجة التلميذ إلى التصحيح والإثراء، إذ لا يجوز أن نشعر الطفل بأن عباراته التي ينفي بها غير صحيحة، كما لا يجوز أن نشعره بأن كل الألفاظ التي كان يستخدمها ليست ألفاظا عربية، مثل الكاس الفاس البير الفار الليل النهار الصباح العشية ومثل الكلمات التي على وزن فعلان والتي تكثر في الإستعمال اليومي (عطشان، شبعان، عريان، حفيان، سكران، غضبان، فرحان . . .إلخ (وكذلك أسماء الأدوات والحيوانات التي بقيت سليمة ومن هذه الألفاظ أسماء المكان: ملعب مصنع مسجد . . . إلخ) وقد حاولت المنهجية المتبعة في تعليم اللغة منذ بداية الثمانينات أن تعتمد هذا الأساس بمراعاة خبرة الأطفال اللغوية السابقة .

ولكن الأمر الذي ما يزال لم يجد طريقه إلى الحل هو إجراء بحوث ميدانية تضبط بمقتضاها التراكيب الأساسية التي يحتاج إليها الطفل في مجال تعلم الفصحى المعاصرة التي تتعامل بها الصحافة والإذاعة والتلفزة وكتب المطالعة و الخطب التي تلقى في المناسبات والندوات المتخصصة . . إلخ .

2 – اعتبار المتعلم طرفا أساسيا في عملية التعلم :

إن هذا المنطلق يفرض النظر إلى المادة اللغوية من خلال إحتياجات المتعلم وقدراته، والواقع الذي يعيشه، فيترتب عن هذا إتخاذ مواقف تربوية يكون المتعلم محورها:

–محاولة معرفة المكتسبات السابقة ونوع الإحتياجات التي يجب الإنطلاق منها ومسايرتها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

–تحديد المضمون الذي يثري هذه المكتسبات ويستجيب لحاجات المتعلمين (المفاهيم المفردات التراكيب) .

– إشراك المتعلم في عملية التعلم واعتباره طرفا أساسيا في الحوار والمناقشة والاستنتاج .

– ضبط مستوى التناول الذي يلائم قدرات المتعلمين ويراعي الفروق الفردية بينهم (تجزئة الصعوبات تنويع الأساليب، ترتيب المعلومات..إلخ) .

– اعتبار اللغة مستويات ومعرفة هذه المستويات والتداخل بينها هو الذي ييسر تحديد الموضوعات والأساليب التي تعطى لها الأولوية قبل غيرها .

– مراعاة طبيعة النمو اللغوي عند الطفل وعوامل هذا النمو (الفهم قبل الاستعمال الجملة قبل المفردة ، والمعنى قبل الأسلوب، وجود بيئة لغوية سليمة) .

3– اللغة ممارسة أو هي ممارسة ومعرفة :

إن تعليم اللغة في السنوات الأولى يستوجب توافر عاملين :

–التدريب الواعي والمتكرر .

–التعليم القاصد والمنظم .

فبالممارسة تتحول المعرفة إلى عادة راسخة، وبالتعليم يقف الطفل على الحقائق المتصلة بكل مهارة،وبمكونات النظام، فالاقتصار على جانب واحد لا يحقق النتيجة، وبالجمع بينهما يتحقق التكامل، والتآزر بين التعلم والاكتساب، فالتعلم هو الجهد الذي يبذل من أجل معرفة حقيقةما ، أو إدراك معنى من المعاني، أما الاكتساب فهو النتيجة الحاصلة والمترتبة عن هذا الجهد، والتي يعززها التدريب المتكرر والمستمر .

وما نريده من المعلمين والمكلفين بوضع المناهج وتأليف الكتاب أن يدركوا هذه الحقيقة، ويعملوا على توجيه الجهود التعليمية في ضوئها .

ومما لا شك فيه أن اكتساب أية لغة أمر مرهون باستعمالها. وفهم طريقة الاستعمال، فالشخص الذي لا يستعمل اللغة ولا يفهم الأوضاع المحدثة لها لا يتعلمها، ولا يستوعب نظامها، ومن المعلوم أن الشخص لا يمارس اللغة ممارسة صحيحة وواعية إلا إذا أحس بالحاجة إليها وكان في موقف يدفعه إلى الكلام أو الكتابة ، وفي محيط يوفر له سماع النماذج الصحيحة والراقية، وفرص التدريب على محاكاتها واستعمالها في مختلف المواقف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شروط الممارسة الناجحة :

ليست كل ممارسة تؤدي إلى إتقان اللغة، وإنما هناك شروط لا بد منها:

أ –الإنطلاق من الأوضاع والأحداث الأكثر إلتصاقا بالمتعلمين .

ب –تخصيص الزمن الكافي للممارسة .

ج –مراعاة واقع التلميذ اللغوي – ملاءمة المحتوى لمدارك التلاميذ واحتياجاتهم .

د –الاهتمام بالمحتوى وليس بالإشكال الأدائية .

هـ –جعل البيئة مصدرا للمعرفة اللغوية من حيث المفاهيم والحقائق وليس من حيث الألفاظ فقط .

و –أن تكون الممارسة قائمة على الفهم .

ز –أن تكون الظروف التي تجري فيها الممارسة أقرب ما تكون إلي الظروف الطبيعية .

م –تجنب الممارسة الصورية التي تفرض الأنماط اللغوية وتبتعد عن الأحداث الحقيقية .

ط –توفر فرص التدريب على إستخدام مختلف الأساليب بحيث يحرص المحيط المدرسي وغير المدرسي على توفير النماذج الصحيحة التي تصلح للإقتداء .

ي –يجب أن تتم الممارسة في سياق إجتماعي حي وليس من خلال قوالب منعزلة عن الحياة الإجتماعية .

كـ –أن يتلقي الممارسون تعزيزا وتشجيعا حتى يكون ذلك حافزا لهم على الاستمرار في بذل الجهد .

ل –تخصيص فترات للتدريب الموجه وللتمرين على بعض الاستعمالات والأساليب اللغوية التي ترتقي بخبراتهم .

رابعا : إستراتيجية تعليم المهارات اللغوية :

المهمة الكبرى التي تواجه معلمي المرحلة الأولى هي الأخذ بأيدي التلاميذ برفق وتبصر وتدريبهم على تعلم المهارات اللغوية الأساسية واكتسابها، وتنمية قدراتهم على استخدامها إستخداما جيدا لتصبح أساسا يبنون عليه حياتهم المعرفية والثقافية، فمن غير هذه المهارات لا يمكن للطفل أن يدخل عالم المعرفة، أو ينال حقه من الخدمات التعليمية التي توفرها الدولة، ولا يخفى أن الطفل الذي تضيع منه فرص التعلم في السنوات الأولى، ولم يمكن خلالها من إتقان مهارتي القراءة والكتابة بالخصوص يبقى متعثرا في مسيرته الدراسية، إن لم يفرد بالعناية الخاصة، والتدريب المركز، لذلك نرى ترجمة الطرح النظري المقترح في مجال تعليم اللغة من خلال تبيان الأساسيات التي تبنى عليها المنهجية (تعليم القراءة والكتابة والتعبير والاستماع)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع الإشارة إلى الخطة التي ينبغي أن تنتهج في إدراج تعلم القواعد في المراحل الدنيا، لأن هذه المهارات هي التي تحقق للتلميذ تقدما تحصيليا، وتيسر له اكتساب الملكة اللغوية بالمستوى الذي تسمح به الظروف الثقافية السائدة في المجتمع، لأن صورة الاكتساب يحددها المنهاج والمضامين التي يعرضها الكتاب، وطريقة الاكتساب تحددها المنهجية والأساليب، ونوع المعلمين الذين يباشرون هذا العمل .

التخطيط لتعليم المهارات :

قبل أن نستعرض بعض الأساليب التي تلائم تعليم المهارات اللغوية تجدر الإشارة إلى نقطة محورية يرتكز عليها التعليم اللغوي ، هذه النقطة هي التخطيط لتعليم اللغة، ويشمل التخطيط النقاط التالية :

- تحديد الأهداف التفصيلية المتوخاة من كل مهارة، وفي كل مستوى، بأسلوب إجرائي يضبط المستوى الذي يجب بلوغه، والذي يمكن التأكد منه .
- ضبط الموضوعات والمجالات المفهومية التي تشكل جانبا من جوانب الحياة، التي يعيشها الأطفال وأهاليهم، تلك المجالات التي تثير فضولهم وتشغل بالهم وتستفز اهتمامهم، وتصلح لجعلها محاور تنطلق منها دروس اللغة.
- برمجة المفاهيم والتراكيب والألفاظ والأدوات والصيغ اللغوية التي تعلم في كل مستوى دراسي، وتستجيب لاحتياجات المتعلمين في مجالات الاستعمال والتلقي، على أن تضبط الكيفية التي بها يوظف هذا الرصيد اللغوي والمعرفي.
- تحديد مستوى التناول لكل جانب من جوانب اللغة، واعتماد منهج التدرج الذي ينبغي أن يتبع في التدريب على تعلم المهارات اللغوية .
- أن تختار النصوص الراقية التي لها طابع أدبي، ويستطيع التلميذ استيعاب معانيها والاستمتاع بها سواء كانت شعرا أم نثرا أم حوارا قصصيا لتقدم في حصص الاستماع وتعزز دروس القراءة.

1 – التدريب على مهارة الإستماع :

الاستماع شكل من أشكال القراءة ووسيلة من وسائل التعليم اللغوي، لأن اكتساب اللغة قائم في الأساس على سماع العبارات الدالة وطريقة أدائها، والذي لا يملك حاسة السمع ولا يستطيع توظيفها لا يمكنه أن يتعلم اللغة أو يستفيد من الخطاب المتداول في المجتمع، فحصة الاستماع هي الحصة الطبيعية التي تعرض فيها اللغة نفسها على المتعلم، فيتلقاها كما سمعها، ثم يحاول بعد فهمه لها أن يتصرف فيها، وفق المواقف التي تعرض له في حياته، على عكس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحصص اللغوية الأخرى التي يحاول فيها المتعلم أن يلتقي باللغة، ويعرض نفسه عليها، ويجهد تفكيره في تعرف رموزها من خلال تعلم مكونات مهارات القراءة والكتابة وممارسة التعبير .

وهكذا فالمتعلم في حصة الاستماع لا يذهب إلى اللغة ولا إلى المعلومات ولكن المعلومات هي التي تأتيه، فالمطلوب منه عندئذ أن يرهف سمعه وينصت باهتمام لما يعرض عليه، ويتابع بذهنه الأحداث أو المعاني التي تتوالى في الخطاب المسموع، فكأنه يراها أمامه أو يقرأها.

إن التلميذ في حصة الاستماع يكون في وضعية نفسية مريحة، وفي حالة تركيز أكثر من حصة القراءة العادية (البصرية) التي يضطر فيها إلى إستخدام البصر بكثير من التركيز، وإلى إجهاد النفس في التعرف والنطق والتفسير، الأمر الذي لايطلب منه في قراءة الاستماع، ثم إن هذا النوع من الحصص يهيء التلميذ لفهم اللغة والتأثر بها والاستمتاع بمعانيها، لأن النص الذي يقرأ أو يلقى تصحبه نبرات صوتية معبرة وإشارات وحركات إنفعالية شارحة للمعنى، ودالة عليه وهذا يعين على الفهم، ويدفع إلى التذوق، فاللغة المنطوقة لها مزايا عديدة من أهمها:

–كما يقول كمال بشر (إنها المصدر الحقيقي في الدرس اللغوي الحديث إذ في الكلام المنطوق دفء الحقيقة، وتمثيل الواقع، وفيه كذلك الخواص التي حرمت اللغة المكتوبة من بعضها أو أكثرها)، أما اللغة المكتوبة في نظره فهي: (مستوى من الكلام محروم من عنصر مهم من عناصر النظر في اللغة وهو المسرح اللغوي الحي الذي لا يمكن تصور الكلام بدونه) . [1]

مادة الاستماع هي :

– نصوص القراءة والإملاء
– القصص والحكايات المثيرة .
– المقطوعات الأدبية (الشعرية والنثرية) .
– الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .
– الطرائف والأقوال المأثورة .

في السنوات الأولى وقبل أن يمتلك الأطفال مهارات القراءة يركز على :

– تسميع الأطفال مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
– تسميعهم قصصا وحكايات ونوادر ومقطوعات أدبية شعرية وتثرية شريطة أن يكون أسلوبها سلسا ومعانيها لطيفة وتراكيبها جميلة لنجعل الهدف هو تربية أذواقهم وتنمية ثروتهم اللغوية، وتدريبهم على حسن الاستماع وترغيبهم فيه.

(1) كمال بشر : دراسات في علم اللغة ص 56 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في السنوات العليا (بعد أن يمتلك التلاميذ مهارات القراءة) فينبغي أن تدرج بالإضافة إلي ما ذكر نصوص القراءة ونصوص الإملاء والطرائف والأقوال المأثورة والحكم والنوادر، ليصبح كل ذلك ممهدا للدراسة الأدبية في هذا المستوى.

الأهداف: (أهداف مهارة الإستماع)

ومن المعلوم أن لهذه الحصة مجموعة من أهداف أشرنا إلي بعضها عند تحليل وظيفة الاستماع ونؤكد هنا على :

- تدريب التلاميذ على حسن الاستماع وتتبع الخطاب المنطوق .
- التدريب على فهم الإشارات والقرائن والسياق الذي يعين على الفهم .
- تمكين المتعلمين من هذه المهارات التي تشتد الحاجة إليها في الجامعة وفي الحياة خارج المدرسة .
- تربيةحاسة السمع وتدريبها على التمييز الدقيق بين الأصوات والنغمات .

وهكذا فالتدريب على الإستماع هو تدريب على فهم اللغة، لأن الفهم يسبق الاستخدام ويرافقه، ثم إن الاستماع يرتبط بكل المهارات اللغوية، ويؤثر فيها، فالسمع أبو الملكات كما يقول (ابن خلدون).

ويجب أن نؤكد ونحن نتحدث عن الإستماع أمرا تربويا مهما أصبحنا لا نعطيه الاهتمام المطلوب هو مسألة الحفظ، فالحفظ منهج تربوي لا يمكن رفضه بصفة مطلقة .

2- التدريب على تعلم مهارات التعبير :

التعبير هو الأداة التي تصل الإنسان بغيره، والوسيلة التي بها يشرح أفكاره ويبدي مشاعره واهتماماته، ويحاول التأثير فيمن يحاورهم، لذلك يعد التدريب على التعبير بنوعيه أمرا بالغ الأهمية .

فالمفروض أن تكون مهارة التعبير الشفوي هي المهارة المألوفة والسهلة بالنسبة إلى تلاميذ المرحلة الأولى، لأنها ليست غريبة عنهم، فقد نشأوا معها منذ أن بدأ وا تعلم اللغة، ثم إن المضمون اللغوي الذي تجعل منه المدرسة مادة للتعبير لا يختلف كلية عن العناصر اللغوية التي كانوا يستخدمونها في المنزل، ومع ذلك فالتلميذ المتخرج من التعليم الأساسي (التعليم الإلزامي) لا يملك هذه المهارة ولا يستطيع ممارسة التعبير المسترسل والمنظم، مما يدعو إلى التساؤل عن الأسباب، ولعل الأسباب ترجع إلى ما يلي:

أ -الانتقال المفاجئ بالتلميذ من الاستعمالات اللغوية العامية إلى اللغة الفصيحة الأمر الذي لم تنصح به التوجيهات التربوية، بل تنصح بتجنبه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب –إلزام التلاميذ منذ البداية بالكلام المعرب أي تحريك أواخر الجمل مما يجعل التلاميذ يتهيبون من المشاركة في الكلام، خوفا من الوقوع في الخطأ .

ج –إنعدام البيئة اللغوية السليمة التي يحتك بها التلميذ، والتي هي الأصل في إشاعة الاستعمال اللغوي الفصيح، فتلاميذنا اليوم لا يجدون إلا المدرسة التي تحاول أن توفر لهم جانبا من هذه البيئة المفتقدة، وحتى المدرسة التي هي المكان الوحيد لاستخدام الفصحى أصبح عرضة لظاهرة التسيب اللغوي .

د –إن العناية التي أعطيت للتعبير الشفوي في الطور الأول (السنوات الثلاث الأولى) لم تستمر في باقي المراحل بنفس الحجم ونفس الاهتمام، ولم تتسع لتشمل الاهتمام المركز بالتعبير الكتابي، الذي كان المفروض أن يحتل مكانة متميزة في الخطة الدراسية، لذلك آن الأوان أن تخصص مكانة للتعبير الكتابي في جميع المراحل من غير أن نقلل من الاهتمام بالتعبير الشفوي، في المرحلة الأولى والثانية بالخصوص .

وفيما يلي بعض الاتجاهات التي نلح عليها :

1 – ينبغي أن يتجه الاهتمام في حصص التعبير إلى تنظيم الأفكار باعتبارها الأساس الذي يعتمد في تنظيم الكلام .

2– ينبغي تنويع الوسائل المعتمدة في تنظيم حصص التعبير .

3– تنشيط حصص التعبير وإدارة الحديث يتطلب مجموعة من الفنيات البيداغوجية مثل :

– أن لا يستبد المعلم بالكلام .

– أن يشجع المحاولات التي يبديها الأطفال مهما كانت .

– أن لا يطالبهم بالإلتزام بتحريك أواخر الجمل .

– أن يسعى باستمرار لفك عقدة الألسنة بدفع الخجولين إلي التعبير وتشجيعهم على الاستمرار فيه .

– أن تكون لغته التي يدير بها الحديث صالحة للاقتداء ومثيرة للحوار .

– أن يستحضر المعلم جوانب الموضوع المحدد للمناقشة ليكون متهيئا لملء الفراغات التي تظهر في كلام التلاميذ، وتوجيههم لتناول جزئيات الموضوع .

– أن يحسن إثارة التلاميذ وتحفيزهم للكلام .

4– يجب أن تكون حصص الحوار الذي يجريه المعلم من خلال دروس التعبير والقراءة حصصا يشارك فيه جميع التلاميذ على أن يكون الحوار الذي يديره بين التلاميذ حوارا حقيقيا لا تكلف فيه، بحيث ينظم على أساس موضوع حي، يعيشه التلاميذ، ويتفاعلون معه، وتستخدم فيه عبارات وتراكيب تثري قدرتهم، وتكسبهم دربة على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استخدام اللغة في الاتصال بالناس، وفي المواقف المختلفة ، ويتطلب هذا تجنب الأنماط الجافة والمفروضة التي لا يستوعب التلاميذ معناها، ولا يشاركون في بنائها .

5- جعل الحصص الدراسية كلها حصصا للتعبير

6 – ينبغي أن يلتزم المعلم اللغة الفصيحة في كلامه سواء داخل الحجرة الدراسية أم خارجها ليكون كلامه نموذجا صالحا للمحاكاة، ومؤثرا تأثيرا إيجابيا في أدائهم اللغوي، لأنه قدوتهم، ومصدر الخبرة الراقية في نظرهم.

الوسائل

– الصور المعبرة والثرية بالأحداث والوقائع .
– القصص المثيرة ذات الأحداث والمفاجآت .
– النص المقروء أو المسموع .
– الحوار الحي انطلاقا من مناسبة أو حدث .
– تمثيل الدور ... إلخ .

أما وسائل التعبير الكتابي فهي بالإضافة إلي الوسائل المذكورة كما يلي :

– التعبير الحر الذي يحدد التلميذ موضوعه .
– كتابة الرسائل والبطاقات والدعوات .
– تركيب قصة مبعثرة .
– إكمال القصص المفتوحة ذات النهاية المشوقة .
– تبليغ خبر إلى من يجهله .
– تقديم نصائح لزميل أو رفيق .
– تنظيم حوار بين شخصين أو تخيل حوار بين حيوانين .
– التعبير عن أمنية يتمناها الشخص .
– كتابة إجابات عن أسئلة .
– وضع أسئلة لإجابات مطروحة .
– توظيف مفردات وصيغ وقوالب توظيفا حرا .

وفي المستويات العليا يضاف ما يلي :

– تلخيص القصة أو توسيعها .
– إبراز المغزى من النص .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– توجيه رسالة إعتذار لصديق .
– كتابة طلب لمصلحة إدارية يحدد الكاتب موضوعها .
– ملء إستمارة أو مطبوعة إدارية .
– وصف مشهد إلخ .

3– تعليم مهارة القراءة :

لا بد في البداية من تأكيد حقيقة وهي أن القراءة عملية معقدة في الأساس بالنسبة إلي المبتدئ، لأنها ترتبط بالكلمة المكتوبة والكلمة المكتوبة صورة مجردة ومختلفة عن الكلمة المنطوقة كما سبق القول لأن الأولى مؤلفة من رموز خطية متواضع عليها، والثانية مولفة من عناصر صوتية تؤدي وفق تسلسل مكاني وزماني، وتكتسب بالسماع، وليس هناك علاقة بين ما ينطق وما يكتب إلا من حيث المعنى، فالصورتان ترمزان إلى معنى قائم في الذهن، وله صورة مقابلة في الواقع الحياتي، فالانتقال من الرموز الكتابية إلى الرموز الصوتية وإلى المعنى المستقر في الذهن أو المجسد في الواقع ليس أمرا سهلا .

إن التعرف على المعنى الذي هو مدلول الكلمة يتوقف على إدراك العلاقة بين اللفظ والمعنى، وقراءة اللفظ المكتوب قراءة سليمة يتوقف على معرفة الرموز والإشارات الخطية وطريقة النطق بها .

وهكذا تصبح القراءة بالنسبة إلى المبتدئ تعرفا ونطقا وإدراكا، وليس من السهل على من لم يدرب تدريبا كافيا علي الربط بين هذه العناصر الثلاثة أن يتقن القراءة بصفتها أداء متصلا ومعنى مستوعبا، فالتأليف بين الصورة الكتابية والصورة الصوتية والصورة الإدراكية يتطلب مستوى من النضج وقدرا كافيا من الاستعداد، وبرنامجا من التدريب .

ومن غير ذلك يصعب التغلب على العقبات التي تقف أمام متعلم القراءة، سواء في مستوى التعرف (تعرف الأشكال) أم في مستوى النطق(تحويل الأشكال إلى أداء صوتي) أم في مستوى الفهم (تحويل الأداء إلى معنى له دلالة معينة) .

ونظرا لهذه الصعوبة يتعين إختيار منهجية ملائمة لطبيعة القراءة ولمستوى المتعلم، وقادرة على تيسير تعليمها وتعلمها، ومن المعلوم أن تعلم القراءة يقوم على أساسين :

– أساس آلي ميكانيكي يوجه الاهتمام فيه إلي التعرف والنطق وفك الرموز .
–أساس ذهني لغوي يركز فيه على فهم اللغة وإدراك معاني الألفاظ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقراءة ليست تدريبا على اكتساب مهارة الأداء فحسب، بل هذ عملية بنائية تبني فكر الإنسان وتصوغ وجدانه وتهذب ذوقه وتغرس الاتجاهات الإيجابية في سلوكه إذا درب عليها وفق هذا التصور .

ولا يمكن الفصل بين القراءة باعتبارها مهارة أدائية للغة المكتوبة، ونشاطا مكرسا للاستمتاع والتعلم، وبين القراءة باعتبارها أداة مثلى للتدبر والتفكير، وبناء المعرفة ونشر الوعي .

فالقراءة وفق هذا المنظور عملية لا تنتهي الحاجة إليها بمجرد الانتهاء من فترة التعلم، بل هي ملازمة للإنسان طوال حياته، ثم إنها نشاط متعدد الوظائف، متنوع الأشكال، كثير الأغراض، ولا يستطيع الفرد الإلمام بمكونات القراءة واكتساب مهاراتها المختلفة إلا إذا تلقى تعليما مباشرا مركزا وهادفا، وتدريبا عمليا مكثفا، وهذا ما يفرض أن نفرد لها عناية خاصة من شأنها أن تيسر تعلمها وترغب فيها وتوفر ظروف ممارستها .

ونظرا لهذه الأهمية تحرص بعض النظم على توفير تعليم تمهيدي يسبق الدخول المدرسي، بهدف تنمية الاستعداد للقراءة وخلق عوامل النجاح فيها، وقد أشرنا إلى هذا من قبل .

الأمور المتعلقة بالمنهجية (منهجية تعليم القراءة) .

- يجب تجنب الأساليب التي تعلم القراءة من أجل القراءة .
- ينبغي أن يبذل جهد متميز في تحضير كتب القراءة والكتب المكملة لثقافة الطفل .
- إستخلاص نصوص القراءة من محاور المحادثة والتعبير .
- الطريقة المفضلة في تعليم القراءة هي التي تجمع بين التحليل والتركيب، وتجعل من مرحلة التركيب الحصة التي يركز فيها الجهد على تدريب التلاميذ على التهجي والقراءة المتصلة على أن تعزز هذه المرحلة بمجموعة من التمارين، تزيد التلاميذ قدرة على معرفة العناصر المكونة للقراءة .
- إن تعليم القراءة يجب أن يكون قائما في البداية على أساس التعامل مع الأصوات والرموز المنطوقة وليس مع الحروف المكتوبة الصامتة لأن هذه الأخيرة أكثر تجريدا، وهذا يحتم أن يكون المنطلق هو التعرف على الأصوات، لأن اللغة في الأساس أصوات، كما يحتم عدم الفصل بين الحرف الذي يرمز إلى الصوت وبين الحركة وبين الحرف الساكن والمتحرك في بداية التعلم .
- وفي مجال الكتابة يجب أن لا نرهق التلاميذ بمعرفة أوضاع الحرف المختلفة كما يفعل الكثير من المعلمين، بل ينبغي الاكتفاء بالوضعين الطبيعيين (في بداية الكلمة وفي نهايتها) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– الإكثار من التمارين التي تثبت صور الأشكال الكتابية والأصوات المرتبطة بها على أن يكون هناك تدرج معقول .

– الربط بين عمليات الكتابة والقراءة والتعبير .

ما ينبغي الحرص عليه في تعليم القراة :

– أن تكون الجمل والنصوص سليمة البناء سلسلة العبارات خالية من التكلف .

– أن تكون الفكرة التي يتناولها النص واضحة وهادفة .

– أن يستوفي الدرس عنصري الإثارة والتشويق .

– أن يستعان بالوسائل المشخصة لمعاني المفردات والتراكيب .

– أن لا نتقيد بترتيب معين في تعليم الأصوات إلا ما تفرضه المبادئ التربوية (السهولة والصعوبة) .

أما الأهداف التي ينبغي أن نعمل من أجل تحقيقها فهي :

– القدرة علي القراءة المتصلة .

– القدرة على استيعاب المعني .

– القدرة على الانتفاع بما يستخلص من النص المقروء .

– الرغبة في القراءة بهدف غرس السلوك الإيجابي نحو الكتاب.

– تنمية العادات القرائية الصحيحة(الابتداء – الوقف – الوصل – الأداء المتصل – النبرة الصوتية الملائمة للمعنى .. إلخ) .

4 – تعليم مهارة الكتابة :

إن تدني المستوى الأدائي في اللغة يظهر أكثر ما يظهر في كتابات التلاميذ، وهذه حقيقة ينبغي أن لا نتهرب منها، فالصعوبة التي تواجه التلاميذ في هذا المجال لم تجد ما يقابلها من جهد يذللها، ولعل العامل الجوهري الذي يرفع الأداء اللغوي الكتابي هو المداومة على الكتابة في المجالات التي تتصل بحاجة الإنسان واهتماماته .

إن الكتابة مهارة حركية ولغوية وفكرية، وتعلمها يتم من خلال ثلاثة أنشطة أساسية :

– **نشاط الخط**: والهدف منه معرفة الشكل المتعارف عليه والتدريب على تنسيق كتابة الحروف

– **نشاط الإملاء** : والهدف منه مراعاة قواعد الكتابة وضوابط رسم الكلمات وفق القاعدة الهجائية والبنية الصرفية والنحوية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– **نشاط التعبير التحريري**:والهدف منه إكساب التلاميذ مهارة التبليغ باستخدام الكتابة (تبليغ فكرة تسجيل خواطر طلب شيء) وغير ذلك من الأمور التي يحتاج فيها الإنسان إلي تدوينها والتعبير عنها كتابة، ولجعل التلميذ يتقن هذه المهارة يجب أن يمكن من رصيد لغوي يتيح له الإعراب عن أفكاره كما يجب أن يمكن من معرفة كيفية نظم الكلام وبناء العبارات والرسم الإملائي المتعارف عليه، ودروس التعبير الشفوي والقراءة وحديث المعلم اليومي والاستماع إلى المقطوعات الأدبية كل هذا يعين التلميذ على فهم طريقة التعبير الكتابي، يضاف إلى ذلك دروس الإملاء والخط والقواعد التي تعينه على تحري الصواب والسلامة في الأداء وتجنب الأخطاء.

وبهذا يصبح التعبير الكتابي غاية النشاطات اللغوية المختلفة، فكل الفنون اللغوية تصب في نهر التعبير الكتابي، وأهم خطوة عملية يجب الاهتمام بها هو الإكثار من الممارسة الكتابية التي يجب أن يرعاها المعلم بالتصحيح والتوجيه والتدريب المركز، ويستطيع المعلم أن ينجح في خطته إذا هو عرف كيف يختار :

– أنواع التمارين الكتابية الوظيفية .

– الموضوعات التي تصلح للكتابة .

– أساليب التصحيح والتوجيه التي يعتمدها .

ولا بد في النهاية من أن يجعل من حصص التعبير الكتابي تعليما للغة وليس تعليما عن اللغة وفرق كبير بين الأمرين .

هـ – تعليم القواعد :

لا تظهر القواعد (في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي) في شكل نشاط لغوي منفصل مثل القراءة والكتابة والتعبير، وإنما تدمج مع النشاطات اللغوية المختلفة وتذوب فيها، لأنها تمارس ضمنيا (من خلال القراءة والتعبير والتمارين) بحيث لا يحس التلميذ بأنه يتعلم مادة أو نشاطا يسمى القواعد، فالقواعد لا ينظر إليها في هذه المرحلة علي أنها قوانين وأحكام تستخلص وتلقن، إنما ينظر إليها على أنها وظائف لغوية تدرك إدراكا حدسيا، وتفهم بواسطة الاستعمال المتكرر والواعي، فهي روح الاستعمال اللغوي في مظهريه الشفهي والكتابي فتعلمها يجب أن يكون على هذا الأساس .

لذا يتجه الاهتمام إلى ممارسة وظيفية للأساليب والتعابير التي تتضمن القواعد النحوية والصرفية الضرورية التي يقوم عليها نظام اللغة، ويحتاج إليها المتكلم، من غير أي شرح أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل، وتستخلص الأحكام التي تخضع لها، ومن غير أن يتعرض للتعاريف والمصطلحات الإعرابية التي لا تفيد التلميذ في شيء، لأن المهم أن يتمرس بأحوال الخطاب وأشكال البناء اللغوي ويتعامل مع الاستعمالات الوظيفية التي تستجيب لحاجاته، وتعينه على فهم ما يسمعه وما يقرأه .

وينبغي أن لا نتعجل في هذه المرحلة تدريس القواعد بصفة مباشرة، وبكيفية تحليلية مجردة، لأن توجيه إهتمام التلميذ إلى معرفة القاعدة وحفظها، ومعرفة الحكم الإعرابي لا يؤدي بالضرورة إلى اكتساب القدرة على أداء لغوي سليم، وفهم صحيح.

وحتى في المرحلة الثانية (الطور الثاني) ينبغي أن لا نركز كثيرا على النحو التحليلي النظري الذي يتجه الاهتمام فيه إلى تحليل التراكيب اللغوية تحليلا مجردا ودراستها دراسة نحوية معمقة، بهدف إبراز خصائص القاعدة والأحكام المرتبطة بها، لأن تلميذ هذه المرحلة حتى وإن اكتسب أساسيات اللغة المكتوبة عامة ما يزال بحاجة إلى توسيع خبراته في مجال الإستعمال اللغوي الفصيح فهما وأداءا، ويمكن أن ندرس له (بهدف تعميق فهمه للغة وقدرته على ممارستها ممارسة صحيحة) أهم البنيات النحوية والصرفية وحتى البلاغية التي تلتقي معه يوميا تدريسا وظيفيا يجعله يستوعب الوظيفة التركيبية والبنية الصرفية من غير أن نرهقه بالتعاريف والمصطلحات وحفظ الأحكام، فالمهم أن نكسبه الدربة على الفهم والتوظيف، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالإكثار من التمارين التي تجعله يعيش مع اللغة وباللغة.

والخلاصة هي أن القواعد يمكن اعتبارها مهارة خامسة، ولكنها ليست منفصلة عن المهارات الأخرى وكما يقول الدكتور محمود كامل الناقة من (مصر): (إنها مهارة مختبئة وراء كل مهارة من مهارات اللغة)، إذ لا يمكن النظر إليها على أنها قائمة بذاتها اللهم إلا إذا كنا نعتبر تعليمها غاية في حد ذاته وهذا لا يقول به أحد له رؤية تربوية ، وفي هذا السياق ينبغي تصحيح بعض المفاهيم التي ارتبطت بتدريس القواعد وأثرت سلبا في نتائج هذا التدريس، من ذلك :

- الخلط بين المفهوم المتعلق بالمعنى والمفهوم المتعلق بالمبنى، فالكثير من المعلمين يتصورن أن النحو مثلا مبنى قبل أن يكون معنى أو هو معنى تابع للمبنى ومن ثم يتجه إهتمامهم عند التدريس إلى المصطلحات والتعاريف والأحكام، ويهملون الوظائف والمعاني التي هي الأساس.
- الخلط بين النحو الأكاديمي التخصصي وبين النحو المدرسي الوظيفي الذي يعين التلاميذ على فهم البناء اللغوي والعلاقة بين التركيب والمعنى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– ولتصحيح هذه النظرة يجب التأكيد على ضرورة التركيز على المعنى قبل المبنى والوظيفة قبل الحكم، والاستعمال قبل الحفظ.
– لا بد أن تكون الأمثلة النحوية من صنع الواقع وليست من صنع المعلم، إذ لا يجوز أن يكون المثال النحوي صوريا خياليا غير متطابق مع الواقع, ولا مع الأحداث الجارية، ولا مع ما يمكن أن يستوعبه المتعلم.
– إن الوقت الأكبر يصرف في التحليل والدراسة والمناقشة عند محاولة إستنباط القاعدة, ولكن الاستعمال الذي هو الأساس لا يعطى الوقت اللازم وهذا أحد الأسباب التي جعلت التلاميذ لا يملكون المقدرة على توظيف القواعد توظيفا سليما.

5 – إصلاح الأوضاع الخاصة بتعليم اللغة :

إن إصلاح أوضاع تعليم اللغة في داخل المدرسة يعني معالجة مظاهر الخلل التي تعوق الجهد وتقلل من النتائج، ولكن هذا الإصلاح موقوف على الجهود التي تبذل لتغيير الواقع اللغوي المحيط بالمدرسة ويؤثر في جهودها من ذلك:

– تغيير مواقفنا الرسمية وغير الرسمية تجاه اللغة العربية, لتنمية الوعي بالقضية اللغوية وتقوية حاسة الغيرة عليها, لنصونها ونمنع عنها الهوان الذي يلحق بها، وجعل هذه المواقف جزءا من سلوكنا الفكري والثقافي والسياسي كذلك.
– وأول ما يجب البدء به هو الحد من ظاهرة التسيب اللغوي التي نلحظها في محيطنا الثقافي والاجتماعي ومن مظاهر التسيب :
– قلة الاهتمام بسلامة اللغة وجودة التعبير .
– انصراف الكثيرين إلى استعمال لغة ضعيفة مفككة هي أقرب إلى العامية .
– تفشي العامية الركيكة حتى في الأوساط الثقافية .
– التباهي باستعمال اللغة الأجنبية حتى في المواطن التي لا تدعو إلى ذلك .

ومن المعلوم أن اللغة أية لغة لا تنهض إلا باحترام أهلها لها, وتعلقهم بشخصيتها، وحرصهم على خدمتها علميا وتربويا، لتأهيلها لمواكبة كل مستجد في ميدان المعرفة، ووسائل الإتصال، وانطلاقهم منها إلى الاتصال بخبرات الآخرين علما ولغة.

إن خدمة اللغة والعناية بها يجب أن تكون في صميم جهود البناد الوطني، والنضال ضد التخلف الثقافي والحضاري .

فالعناية باللغة كما يرى البعض يجب أن تتجاوز حدود الواجب والضرورة والمصلحة، لتبلغ حد المصير، فترتفع فوق كل جدل، وتستقر في نطاق المثل العليا التي نؤمن بها ونعمل من أجلها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com